الشيخ خزعل خان

عربستان

مقاطعة في ايران

حدودها : غرباً المملكة العراقية وشط العرب ، شمالاً مقاطعة بوروجيرد وغولبكيان ، شرقاً الحدود الاصفهانية ، وجنوباً الخليج العربي .

عدد سكانها : نحو من نصف مليون نفس نصفهم عرب والنصف الآخر فارسي .

اهم قبائلها : الحاسبي الكعبي المحيسني والعامري — والعوامر يدّعون انهم من نجد .

اهم بلدانها : عبّدان والمحمَّره .

مذاهبها : الشيعة .



سمو السردار اقدس الشيخ خزعل خان

الشيخ خزعل

قل من لا يعرفه – قل من يعرفه – ثروته وكرمه وأدبه – ذوقـــه الشامل – الغواني – الشعراء – الاحبار – اجمل ازاهر الكرم فيه – الكنيسة ومحفل الماسون والراقصة – التساهل في غير القبيح الذميم – ولا يأنف من اللعب – ولا يروعه تعدد النساء في الحريم – « من هي امك ياوليد » – الزواج السياسي – جاء في الكامل للمبرد – نياشين من الملوك – ومن بابا رومه – ومن الفيلسوف ابيكوروس والصوفي ابن العربي – لمـــاذا ترددت في زيارته – كتابي اليه – جوابه – اجتماعنا – حديث عن اطباء الاسنان – وعن الاخوان – القهوة في مجالس آل صباح – بلية العالم – الرجوع الى الارض بعد الموت – متى يجب ان يرجع الشيخ خزعل .

هو سمو السردار اقدس ، معز السلطنة ، الشيـخ خزعل خان بن نصرت الملك الحاج جابر خان الحاسبي المحيَسني الكعبي العامري ، امير نويان وسردار عربستان ، ومؤلف كتاب الرياض الخزعلية في السياسة الانسانية . قل مَن لا يعرفه من قراء الصحف العربيـة باسمه ولقبه الاولين في الاقل . فهو من امراء العرب وان كانت امارته داخلة في سيادة الدولة الايرانية . بل هو اكبرهم بعـد الملك حسين سناً ، واسبقهم الى الشهرة ، ومن اعظمهم في الكرم . هذا ما يعرفه اكثر العارفين بالبلاد العربية .

اما ما يجهله اكثر الناس خارج الكويت والبصرة فهو ان هـذا الامير العربي من طراز الامراء عهد العباسيين . اعني بذلك انه غني حكيم كريم معاً . فهو برمكي في كرمه ، وفي ذوقه ، وفي أدبه . يحب اللهو والغناء حبه الادب والشعراء . بل يميل الى كل ما فيه شيء

من اسباب السرور كلها ، العقلية والاجتماعية والجسدية . وان كلمة قالها معاوية : الدنيا بجذافيرها ، الخفض والدعة . لتصح ان تكون من كلماته .

أجل ، ان للشيخ خزعل ذوقاً انسانياً شاملاً فلا ينفر من غير القبيح والذميم في الحياة ، ولا يعرف في مكارمه التفضيل والتمييز تجيء المغنية من حلب او من دمشق الى المحمرة وهي لا تملك غير خلخالها فتقيم عدة اشهر في القصر وتعود غنيـــة مثقلة بالحلي . ويجيء الشعراء وفي جيوبهم قصائد المديح فيعودون من المحمرة وفي جيوبهم اكياس من المـــال . ويجيء حبر من احبـــار المسيحيين فينزل على سمو السردار ضيفاً كريماً محترماً ويعود مصحوباً بالهدايا الثمينة . ثم يجيء المبشر بالماسونية فيحل محل الاسقف في القصر الخزعلي ويعود بعد اقامة سعيدة كما عاد المحترم قبله .

ان من اجمل ازاهر الكرم في هذا العربي تساهله وهو شيعي المذهب . فهو يساعد في بناء كنيسة في بلاده لمنكوبي الكلدان ، ويساعد في تأسيس محفل للماسون ويفتح خزانته لراقصة او مغنيـــة كما يفتحها لاولي البر والاحسان من الطوائف كلها جمعاء . وهو على مقامه بل بالرغم من مقامه يميل دائماً الى ما فيه لهو او تسلية او فكاهة . فاذا ما انتابه الضجر في القصر ، وكان قصر الضيافة فارغـــاً ، ولم يكن ليرغب في زيارة البصرة ليشرف طاولة « البوكر » فيها ، ينادي اولاده قائلاً : يا ولد الخير تعـــالوا . الا تلعبون . فيجيء السردار ارفع او السردار اجل او السردار جاسم او نصرت الملك او كلهم اجمعون ، فيجلسون مع عظمة الوالد الى تلك الطاولة الخضراء العزيزة الشأن حتى في المحمرة والبصرة .

الشيخ خزعل

والشيخ خزعل من امراء العرب المحافظين على تقاليد الاجداد في التعريس ، ولا سيما ان شريعة المتعة عند الشيعة تساعده في ذلك . فقد قيل لي ان له اكثر من ستين امرأة وانه قلما يعرف اولادهن . كثيراً ما يجيئه احد اولئك الصغار فيسأله قائلاً : ومن هي امك يا وليد ؟ ثم اذا ناوأه احد مشايخ القبائل وهمّ بالخروج عليه ، وكانت له بنت صالحة للنكاح ، يزوره السردار اقدس ويشرفه بالمصاهرة ، فتخمد فيه في الحال جذوة التمرد والعصيان . سألت عن سمو الشيخ وانا في البصرة فقيل لي هو متغيب اليوم . فقلت : واين هو ؟ فقال محدثي : راح يتزوج وهو لا يزال على سنه التي تتجاوز الستين اهلاً لمثل هذه المهمات .

جاء في الكامل للمبرد ان انعم الناس عيشاً من عاش غيره في عيشه. ولا اظن الشيخ خزعل يحتاج الى شهادة المبرّد وشهادتي في انه يعتقد هذه الحكمة ويعمل بها . فهو اذا لبس ثوبه الرسمي يحمل على صدره شهادات من ملوك الارض وفيها وسام القديس غريغوريوس من البابا بناديكتوس الخامس عشر وبين تلك الاوسمة والنياشين كلها وسامين لايراهما كل الناس بل لايراهما غير من نظر الى هذا الرجل بعين الشعر والفلسفة . فهو في صفته الانسانية يحمل وساماً من الفيلسوف الاغريقي ابيقور وآخر من الحكيم الالهي الصوفي محيي الدين ابن العربي .

أدين بدين الحب كيف توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني[1]

---

(١) جاء خطأ في الطبعة الاولى ان هذا البيت للشريف الرضي ، وكنت قد نقلت في الجزء الاول بيتاً مغلوطاً فيه فصحح العالم النجفي البيتين باللهجة التي صحح بها ما كتبته عن صاحب الزمان. (راجع الجزء الاول صفحة ١٤١) قال نفعنا بعلمه وتسخطه

هوذا الامير العربي الذي كنت متردداً في زيارته بالمحمرة . وقد ترددت لسببين ، اولهما لان المتأدبين يؤمون تلك السدة الشريفة وفي جيوبهم قصائد المديح الطنانة ، ولست لسوء الحظ ممن يحسنون النظم ولا المديح الرسمي وثانيهما انه حاكم بلادٍ اطلق عليها العرب في الماضي اسم الاهواز وهي اليوم عربستان من اعمال فارس . على ان رغبتي في الاجتماع بامير عرفته من اخباره انه فيلسوف الامراء ، بل فيلسوف الحياة العملية ، كادت تتغلب على اسباب التردد كلها ، فوطنت النفس على ان اعرج على المحمرة في عودتي الى البصرة . ولكن تقادير الخير امرضتني فجمعتني بالدكتور ريحان الذي بشرني بوجود سمو الشيخ في الكويت (١) .

بادرت الى القلم والورق اكتب اليه كلمة استأذنه بالزيارة ، فوقف القلم في رأس الصفحة البيضاء جامحاً . كيف احيي هذا الامير

تابع شرح صفحة ١٩٩

« لعل السائح العربي لما احس بجنايته على الشريف الرضي ما رضي الا ان يتداركها فنسب اليه في مقام آخر شعراً ليس هو من شعره ، فصارت الجناية باثنتين والسيئة سيئة بسيئتين » .

فهل تظن ان الشريف الرضي يرضى . من الوجهة البيانية ، بان تجيء السيئة بعد الجناية . وهلا تظنه يعفو ، من الوجهة الاخلاقية ، عن الجاني عليه اذا كان ذلك في سبيل الحب . واني في هذا السبيل كذلك اشكر للعالم النجفي اهتمامه بكتاب«الملوك» وبصاحبه .

(١) كان الشيخ مبارك آل الصباح والشيخ خزعل صديقين حميمين يتزاوران دائماً فتوفقا الى فكرة جميلة يخلدان بها تلك الصداقة الجميلة . فبنى الشيخ خزعل للشيخ مبارك قصراً في المحمرة وبنى الشيخ مبارك للشيخ خزعل قصراً في الكويت . ولكنه كان الى جانب قصره في المدينة فبنى بعدئذ الشيخ خزعل قصراً خارج السور يقيم فيه بعض اشهر الشتاء . وهنالك اليوم قصر الشيخ احمد آل الصباح مجهز بالكهرباء والتلفون ومفروش بالفاخر من الرياش .

وهو كثير الالقاب والرتب والاوسمة ? بل كيف احيي من يتحدث الناس من عرب وعجم وافرنج عن مكارم اخلاقه وغرر اياديه ? هل احذو حذو الادباء فانظم الاسجاع ، في من كرمه كالمسك ضواع ، ومتفق عليه بالاجماع ? قد يظنها قصيدة مدح مني فيعاملني بما يوجبه شرع المحمرة . لذلك طرحت الرسميات جانباً وكتبت الى مولاي الشيخ خزعل كلمة سلام مقرون بالاجلال والاكرام ، فجاءني منه الجواب الآتي :

اسعد الله اوقاتك

ايها الفيلسوف المكرم ، حياك الله وابقاك ، وحفظك ونجاك ، واني مشتاق الى لقياك . فيجب ان ازورك قبل ان تزورني لان لكل قادم حق الزيارة وقد سبقتني بالجميل في كتابك الكريم ، فاشكر ذاك الذوق السليم واني صباحاً ان شاء الله ازورك في محل الجميع واحظى بنور تلك الطلعة واختم كتابي بالدعاء لكم بالتوفيق والسلام عليكم .

المحب لكم

خزعل

وكان اجتماعنا الاول في « محل الجميع » اي عند سمو الشيخ احمد في الجناح الجنوبي من القصر في القاعة المفروشة بالفرش الاوروبي .

الشيخ خزعل في العقد السادس من العمر وهو ، بالرغم عن الطبيبين في معيته ، على جانب متين من الصحة والعافية . الا انه كان يشكو يومئذ من اسنانه ومن الطبيبين معاً .

— سمعت الناس يشكرون اطباء الاسنان في اميركا . وقد قال لنا احد افاضل الاميركيين ان اطباء الاسنان هناك وباعة الخيل

وسماسرة البورص من طبقة واحدة . فلم نفهم كلامه فهل لك ان تشرحه لنا .

فقلت : اما باعة الخيل فالمشهور من امرهم هو انهم مثل من يبيعون المعاليق في حماه فينفخونها قبل ان يزنوها . اما سماسرة البورص فلهم في اميركا اسم آخر اظن فيه الشرح الذي تبغيه . فهم كما يدعونهم هناك اصحاب الدلو الفارغ . اي انهم يتاجرون بلا شيء ، بالهواء . فيبيعون زبائنهم ما لا يملكون من الاسهم . وكذلك الزبائن يبيعون ويشترون . هو ضرب من لعب القمار ، يكثر فيه ما هو محض سر من الاسرار .

– واين وجه الشبه بينهم وبين طبيب الاسنان .

– وجه الشبه في المبدأ يا مولاي–المبدأ واحد هو الوهم والاحتراف به هو الهواء في المعاليق ، وهو الدلو الفارغ او الهواء في الدلو . فاذا رحت الى طبيب اسنان تشكو من وجع في ضرس واحد يقول لك بعد الفحص انك جبار لانك لا تشكو الا من ضرس واحد ، وان بقية اضراسك في حالة مفجعة ، فيقنعك بما أوتي من علم ان معالجتها كلها لازمة ولو اقتضى ذلك شهراً من العمل . والا فتمسي بعد اشهر وليس في فمك سن واحدة .

فقال الشيخ خزعل : قد اخطأ الاميركيون اذاً . فلو كان هذا الرجل عندنا لعددناه من النشالين ؟ فضحك الشيخ احمد وقال : ينشل ما في الفم وما في الكيس . فقال الشيخ خزعل : والحمد لله ان اطباءنا سوريون .

قد كان في معية سمو الشيخ طبيب آخر سوري هو الدكتور رامي . ولكن الطبيبين على ما علمت قلما يصفان من العقاقير غير

المنادمة . وهما الصيدليان كذلك، فيمزجونها لسيدهم في السمر وحول الغطاء الاخضر المشهور .

جاء الخادم بالقهوة . فعلمت ان مجلس حاكم الكويت الرسمي يختلف عن مجلسه العـــام بامرين . الاول ان المجلس الرسمي المفروش بالرياش الفاخر لا يحضره غـير افراد من حاشيته واسرته . والمجلس العام المفروش بالوسائد والمساند يحضره من يشاء من الناس ، فيجلس في المكان الذي يليق به ولا يتعداه . اما الفرق الآخر فهو في تقديم القهوة . في المجلس الرسمي لا يصيح الخدم ويردد بعضهم صدى بعض وفي المجلس العام بل في مجالس آل الصباح اجمالا اذا مـــا أمر الشيخ بالقهوة يصيح الخادم في الباب : أقهُوة . فيهتف الخادم الواقف في الفناء: اي والله اقهوة ! فيسمعه الخادم الجالس عند باب المطبخ فيصيح كذلك : اقهوة ! فيؤمن راعي المعاميل على الصياحين اجمعين مردداً كلمة السر : اي والله اقهوة . فتجيء القهوة في الحال، وان كان المطبخ على نصف ساعة من المجلس .

انتقلنا في الحديث من الاسنان الى الاخوان فقـال الشيخ احمد : التعصب بلية العرب .

وقال الشيخ خزعل : بل بلية العالم . ولو كان لي ان ارجع بعد الموت الى هذه الارض لما احببت ان يكون ذلك الا عندما تصبح ولا اثر فيها للتعصب الديني . الانسان اخو الانسان أحب ام كره.[١]

(١) اسلفت القول ان المحمرة وما يليها اي عربستان هي من اعمال فارس . كان الشيخ خزعل يحكمها حكما مستقلا وقلما كان يؤدي الى الحكومة الايرانية المركزية حساباً . اما بعد الانقلاب ، او بالحري عندما كان رضا خان مسيطراً على الجيش وقبل ان تُوّج شاهاً، تصدت الحكومة الجديدة للشيخ خزعل فقوضت استقلال هذه الامارة العربية وساقت الشيخ خزعل الى طهران حيث ما لبث ان مات حزيناً مقهوراً .